يفرد القلب جناحيه بعيدا ويطير

ليساتينك يا غزتي الخضراء في ليل الجحيم

وتطالعنا غزة في ايماضات عديدة حلوة معذبة خلال الديوان بأكمله ، وكذلك يافا . أما فلسطين فهي الحب والعذاب والصمود والنضال . انها الغربة والاستلاب والتصميم بالرغم من السجون والهزائم . لكننا لا نجدها مشخصة معينة كما في شعر محمود درويش الذي هو شاعر فلسطين بحق . اما معين بسيسو فيقدم لنا فلسطين عبر النضال من اجلها ، لذلك كان شعره فيها يحمل طابع الشمول العربي بالمعنى الذي نقول فيه ان النضال من اجل فلسطين مسؤولية عربية ، وعلى هذا فشعر محمود درويش اكثر اختصاصا بفلسطين ، اما معين بسيسو فقد عرب القضية الفلسطينية ، فكل حديث عن فلسطين انما يمر من خلال الضمير العربي ، ومن هنا جاء شعره اكثر تعددا في مشاهده وتنويعاته وافكاره وطرقه في الاداء . إذ لما كان كل شيء على الاطلاق في الحياة العربية لا بد ان يصب في الطاحونة الفلسطينية فقد عمد معين بسيسو الى تعميق الصيغة الفلسطينية في معالجته للقضايا العربية ، وجر هذه القضايا جرا بمختلف الوسائل الانتقادية ليسوق العرب الى تلك الطاحونة . ولهذا جاء شعره سياطا لاهبة تتعمد انتقاء اخشن الالفاظ واقذع الصور .

ان اسلوب الصدمة في شعر الحقيقة ليس موجها الى الفلسطينيين ، فهؤلاء المشردون او المستعمرون مقاتلون بطبيعتهم وبحكم موقعهم . ان التوعية عن طريق تجريح الواقع وتشريحه وتجريده من كل اقنعته واغطيته موجهة الى العرب المسترخين في اوطانهم ، والقانعين بما حققوا لها من استقلال شكلي يتيح للطبقات الحاكمة والمالكة ان تتمتع بثمار الوطن ، غافلة عن واجباتها القومية في تحقيق الوحدة العربية وتحرير الأرض العربية وتطوير الاقتصاد العربي .

ومعين بسيسو يختلف عن كل الشعراء الفلسطينيين والعرب قاطبة في انه منذ البداية الاولى — اي قبل ١٩٥٠ حين اصدر ديوانه الاول — لم يستصرخ الضمائر العربية ولم يستنجد بالحكام العرب ولم يستحث هممهم او عزائمهم . لم يكن لديه اوهام تضلله ولا مصالح تخدره ، فبدأ سيرته الشعرية خارجيا متمردا ثم انقلب الى هجاء يدمر الواقع العربي ، لا يعرضه مشوها بل بزيادة تشويهه وتحويله الى مسخ كاريكاتوري يفوق الواقع — اي يقدم حقيقة الواقع . فالشاعر الخارجي حين ينفصل عن قومه ويهجوهم بأنه يفضل صحبة الوحوش وخلقياتها على صحبة قومه وخلقياتهم ، يعتقد في قرارة نفسه ان قومه خانوه دون أن يخونهم — ابعد من ذلك ، يعتقد الشاعر الصعلوك ان قومه خانوه وارادوه ان يخون نفسه ، وبالتالي فان انفصاله عنهم وهجاءه لهم هما نوع من الامانة لحقيقته الذاتية ولحقيقة القبيلة التي ينتمي اليها بينما هي لا تنتمي اليه ولا الى حقيقتها . فالشنفرى يستعيض عن اهله بمصاحبة الوحوش في البراري : الذئب القوي والنمر الاملس والضبع ذات العرف الطويل — ويقول ان هذه الوحوش هي الاهل لانها لا تذيع سر الشاعر ولا تخذله اذا اتى امرا جعل القبائل الاخرى تهاجمه وتطلب دمه ، وهو بذلك انما يعرض بقومه ويشجب اخلاقهم ويفضح تخاذلهم :

ولي دونكم اهلون : سيد عملس

وارقط زهلول ، وعرفاء جيأل